

المحاضرة الأولى: ماهية ومفهوم الببليوغرافيا

تقديم:

يتميز القرن الواحد والعشر ين بانفجار معلوماتي رهيب، حتى أضحي اليوم يعرف بمجتمع المعلومة "société d'information". ويمكننا بهذا أن نتصور نظام المعلومات والاتصال * كنهر جارف عملاق ينساب بين قارة وأخرى، دولة وأخرى وهذا النهر العملاق يتفرع إلى مجاري تجري في مختلف المجتمعات ثم ينساب في جداول تدخل كل البيوت.

تقول الإحصائيات أن ما تنشره المطابع سنويا من "أوعية ورقية" * لو صنعت على شكل لفافة فإنه يمكن تغليف الكرة الأرضية بها أكثر من سبع مرات في العام الواحد.

للمعلومات دور كبير في كل نواحي النشاط، هي أساسية للبحث العلمي، على أساسها تتخذ القرارات السديدة وهي عنصر لا غنى عنه في الحياة اليومية، وهي مورد ضروري للصناعة، التنمية، الاقتصاد، النواحي العسكرية والسياسية. لذلك أصبحت قوة البلد تقاس بمدى امتلاك المعلومات.

لنعد الآن إلى دور المعلومات بالنسبة للبحث العلمي، فالباحث والدارس سواء في مجال العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية الاجتماعية يحتاج إلى المعلومات، فالإنسان عند مواجهة المشكلة "موضوع الدراسة" يعود إلى ذاكرته الداخلية كما الذاكرة الخارجية "المكتبات ومراكز المعلومات" للحصول على المعلومات المرتبطة بالموضوع، ومن خلال التحليل ينتهي إلى تكوين فكرة جيدة.

إذا كان هذا العصر هو عصر المعلومات أو تضخم الإنتاج الفكري، يصبح ضروريا توفير المعلومات في الوقت المناسب والقدر المناسب، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت لنا السيطرة على ما ينتج من المعلومات وإتاحتها وتيسير الوصول إليها. ولاشك أن الببليوغرافيا وسيلة هامة لتحقيق ذلك. ما هي إذن هذه الوسيلة التي نطلق عليها اسم "الببليوغرافيا"؟

La Bibliographie

1. ماهية ومفهوم الببليوغرافيا:

يرجع أصل كلمة ببليوغرافيا إلى اللغة اللاتينية، وهي مكونة من كلمتين:

Biblos = كتاب

Graphia = الكتابة أو النسخ

ليصبح معناها بذلك "كتابة الكتب" أو "نسخ الكتب"

لقد تطور معنى الببليوغرافيا ومدلولها على مر العصور، قديما كانت تطلق على صناعة الكتب أي تتصل بصناعة الكتب من حيث تأليفها ونسخها والاستفادة منها، وخلال القرن 18 تحول المعنى من كتابة الكتب إلى الكتابة عن الكتب، والببليوغرافي هو الشخص الذي يجترف صناعة الكتب.

* النظام Le système : مجموعة من العناصر المتفاعلة والمتراصة فيما بينها تقوم بنشاط معين من أجل بلوغ أهداف معينة
* الوعاء الورقي Le contenant papier : هو كل حامل ورقي للمعلومة " كتاب، مجلة، ..."

لقد وردت عدة تعريفات اصطلاحية لكلمة ببليوغرافيا:

- **الببليوغرافيا كعلم:** هي مجموعة الحقائق العلمية المنظمة التي تعالج الكتاب من جوانبه المتصلة بكيانه المادي أو المتصلة بوظيفته بصفته وعاء يحمل الأفكار وينقل الحقائق.
- **الببليوغرافيا:** هي مجموعة الطرق الفنية الضرورية للتحقق من المعلومات الأساسية الخاصة بالكتب وتنظيم هذه المعلومات وتقويمها.
- **الببليوغرافيا:** هي علم صناعة الكتاب وفن سرد الإنتاج الفكري ووصفه وتسجيله.
- الببليوغرافيا: هي قوائم بأسماء أوعية المعلومات، أي أنها قوائم وصفية مرتبة للإنتاج الفكري، فقد تكون في موضوع محدد أو في أكثر من موضوع.
- **الببليوغرافيا:** قائمة وصفية بمواد منشورة أو غير منشورة تعطي وصفا دقيقا للوثائق من حيث تحديد بيانات النشر، الترقيم، الحجم، نوع الورق، التجليد، عمليات التصنيف، التحليل الموضوعي، قد تكون حول موضوع أو شخص أو زمان أو مكان أو بشكل عام أو محدد.

ملاحظة:

القائمة الببليوغرافية: أداة للتعريف بالإنتاج الفكري في الحدود الجغرافية، الزمنية، اللغوية، النوعية، الموضوعية والشكلية.

أما علم الببليوغرافيا: فهو العلم الذي يدرس ويرتبط بفن إعداد الببليوغرافيات بشتى أنواعها وذلك في مجال معين أو عدة مجالات.

2. النشأة والتطور:

لقد ارتبط ظهور وتطور الببليوغرافيا ارتباطا كبيرا بإنتاج الكتب وخاصة عند اختراع الطباعة "القرن 15 على يد الألماني يوحنا غوتنبرغ"، إذ أنها أدت إلى تضاعف أعداد الكتب بسرعة وكانت الحاجة ملحة إلى أدلة بهذه الكتب أي إلى ببليوغرافيات تتضمن على الأقل عناوين الكتب وتواريخ نشرها خاصة وأن عناوين الكتب لم تكن معروفة إلا قليلا في المخطوطات * القديمة ومخطوطات العصور الوسطى. وخلال العقود المتوالية لاختراع الطباعة زادت أهمية الببليوغرافيات وتنوعت وتزايدت أعدادها.

ظهرت كلمة ببليوغرافيا على خريطة المعرفة البشرية في القرن الثامن عشر، تطورها كان بطريقة غير منتظمة في الزمان والمكان. الكلمة أصولها يونانية وكان معناها في أول الأمر نسخ الكتب ثم الكتابة عن الكتب ثم كتابة الكتب وتأليفها ثم وصف الكتب وأصبحت تطلق على قوائم وأدلة الإنتاج الفكري والمطبوعات الجديدة. تطور المفهوم ليشمل علم الكتاب وتاريخ الكتب والببليوغرافيات النقدية التي تهتم بتاريخ ونقد الأعمال المطبوعة. فإذا كانت أوروبا لم تعرف علم الببليوغرافيا إلا في القرن 18، إلا أن العرب قد عرفوا هذا العلم قبل ذلك بكثير في القرن العاشر الميلادي. عرفت الببليوغرافيا عند العرب باسم "الوراقة" أي نسخ الكتب وكان **الوراق** هو ناسخ الكتب سواء بأجر أو بدون أجر، فقد كان ابن النديم وراقا يعمل في نسخ الكتب وكانت كلمة "فهرست" * تقابل

* المخطوط Le Manuscrit: كل ما تم خطه باليد

* الفهرست: كلمة فارسية معربة، ومعناها في اللغة الكتاب الذي يجمع فيه الكتب وتطلق أيضا على قائمة محتويات الكتاب.

الببليوغرافيا أو القائمة الببليوغرافية مثل: فهرست ابن النديم. وفي بداية القرن العشرين أصبح المصطلح يسمى علم الببليوغرافيا.

تطورت الببليوغرافيا منذ العصور القديمة مروراً بالعصور الوسيطة وصولاً للعصر الحديث:

أ. الببليوغرافيا في العصور القديمة:

- مصر الفرعونية أول من عرفت الببليوغرافيا (مكتبات المعابد والقصور الملكية كانت بها فهرس "ببليوغرافيات" بمحتوياتها تسجل على شكل قوائم توضع في مدخل المكتبة- معبد إزيس، معبد أدفو-). الفراعنة اهتموا بتسجيل كل العلوم على أوراق البردي "لفافات" papyrus . في القرن 3 ق.م. استطاع كليماخوس أمين مكتبة الإسكندرية القديمة في عصر البطالمة أن ينظم فهرس المكتبة.
- الحضارة البابلية: الألواح الطينية "codex" المصنفة والمرتبطة كانت تملأ عددا كبيرا من المكتبات في قصور الدولة البابلية في الألف الثالث قبل الميلاد "مكتبة آشور وبانيبال".
- عند الإغريق:

الكلمة ظهرت في كتابات الكتاب اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد. يعتبر الطبيب اليوناني الشهير جالينوس من أهم الذين عرفوا الببليوغرافيا فقد أعد قائمة أو ببليوغرافيا خاصة به وبكتبه.

ب. الببليوغرافيا في العصور الوسطى:

العرب في العصور الوسطى: نظرا لاهتمام الإسلام بالعلم والتعليم، ازدهر عصر التأليف والترجمة وظهرت بذلك الببليوغرافيات:

- فهرس الشيوخ: قوائم يقوم العالم المسلم بحصر وتسجيل ووصف الكتب التي درسها على يد مشايخه. وتعتبر بذلك أولى الببليوغرافيات التي عرفها العرب المسلمون.
- الفهرست لابن النديم: صاحب كتاب الفهرست، هو أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم، كان وراقا شيعيا. ولد بالقرن الرابع ببغداد وهو فهرست جمع كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها باللغة العربية.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة: ألفه أحمد بن مصطفى المشهور بطاش كبرى زادة، يعتبر أحسن نموذج للأدلة الدراسية.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة، هو أوسع وأهم وأكبر وأشمل الببليوغرافيات الإسلامية. يحتوي حوالي 19 ألف عنوان و 10 آلاف مؤلفا.
- ديول كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: وهنا قام عدد كبير من الببليوغرافيين العرب والمسلمين بمتابعة وتذييل كشف الظنون فظهرت بذلك ديولا كثيرة.

ج. الببليوغرافيات في العصر الحديث:

الفهرست هو الذي يحصي كتب مكتبة معينة، بينما الببليوغرافيا تحصي ما كتب عن موضوع معين أو شخص أو بلد أو فترة زمنية بصرف النظر عن وجودها وعدم وجودها بالمكتبة.

- النشرة المصرية للمطبوعات : ببليوغرافيا وطنية مصرية، ساعد في إصدارها قانون المطبوعات والإيداع القانوني.
- النشرة العربية للمطبوعات : تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ 1972. تحصر الإنتاج الفكري للدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية في إصدارات سنوية حتى سنة 1984 ثم إصدار سنة 1988 لتتوقف نهائيا.
- 3. مجالات الببليوغرافيا: تتحدد مجالات الببليوغرافيا على أساس مدى اتساع أو محدودية التغطية الببليوغرافية "حدود موضوعية، تاريخية، جغرافية..."
- 1. الببليوغرافيا العامة: وتضم:
 - أ. العالمية: تحصر الإنتاج الفكري العالمي مثل مجلات "Outelet et Lafontaine" عام 1895 لحصر الإنتاج الفكري وحجمها يقارب 12 مليون بطاقة.
 - ب. اللغوية: حصر الإنتاج الفكري الصادر في لغة معينة، مثل كشف الكتب الصادرة في اللغة الانجليزية cumulative book index.
 - ج. القومية "الإقليمية": ترصد الإنتاج الفكري الصادر في إقليم معين بين مجموعة من الأقطار.
 2. الببليوغرافيا الخاصة "المتخصصة": وتشمل:
 - أ. الموضوعية: ترصد نتاج موضوع معين كالتاريخ والجغرافيا.
 - ب. الأدبية: تشمل شكل أدبي معين مثل الشعر أو القصة.
 - ج. السيرة الذاتية "biographie": تشمل مؤلفات أشخاص. ما كتبه الشخص وما كتب عنه.
- عموما الببليوغرافيات تصنف إلى نوعين:
 - الببليوغرافيا الجارية: وهي التي تقوم بحصر وتنظيم الإنتاج الفكري الذي ما زال يصدر.
 - الببليوغرافيا الراجعة: وهي التي تحصر وتنظم الإنتاج الفكري الراجع أي الصادر في فترة زمنية ماضية.
- 4. أهمية الببليوغرافيا:
 - ✓ تسهيل وصول المستفيد إلى مصادر المعلومات في مختلف حقول المعرفة؛
 - ✓ معرفة ما نشر في موضوع معين أو موضوعات بشكل عام أو ما كتبه شخص معين أو ما كتب عنه أو ما كتب بلغة معينة؛
 - ✓ معرفة الإنتاج الفكري في بلد معين؛
 - ✓ توثيق الإنتاج الفكري الجاري في موضوع معين أو علم بعينه مما يفيد الباحثين في الحصول على البيانات الببليوغرافية الدقيقة حول مطبوع ما والتحقق منها؛
 - ✓ حصر الترجمات المختلفة ومعرفة أسعار المطبوعات؛
 - ✓ معرفة الاتجاهات الحديثة في التأليف التي كتب عنها الكثيرون وتلك التي لم تعالج؛
 - ✓ إجراء دراسات إحصائية وتاريخية ونقدية حول الإنتاج الفكري ولعلمي بشكل عام أو في مجال محدد؛

✓ تفيد الببليوغرافيا في عمليات الاختيار والتزويد والفهرسة والتصنيف و الخدمات المرجعية " الإجابة على طلبات المستخدمين".